الفصل الثالث
المجالات الاقتصادية الحديثة للوقف

كل المجالات السابقة التي أسهم فيها الوقف، والتي تم استعراضها بإيجاز، يمكن أن يساهم بها الوقف في العصر الحاضر، وبما أن الوقف عمل خيري غير محدد أو مخصوص بشيء معين، فإنه يمكن أن يساهم أيضاً في الوقت الحاضر بتنمية عدد كبير من المجالات الاقتصادية الأخرى والتي تحتاج إليها الأمة الإسلامية حالياً، وتساعد على تقدمها ورقيها، وتخفف من الأعباء على السلطات العامة، وبخاصة وأن الوقف في الوقت الراهن في أغلب دول العالم الإسلامي تديره وتشرف عليه مؤسسات وإدارات متخصصة، ولذا فمن المجالات التي يمكن أن يساهم بها حالياً:

٣-١- الوقوف والبحث العلمي:

تنقسم دول العالم المعاصر على أساس التقدم العلمي والتقني إلى ثلاثة أقسام، الأولى: دول متقدمة علمياً وتقنياً، وهي الدول التي استطاعت أن تهيئ لنفسها الأعداد الكافية من المتخصصين في مختلف مجالات العلوم، وأن تقيم المؤسسات اللازمة لذلك، وتخصص من الأموال ما يضمن استمرار تقدمها العلمي والتقني، والثانية: دول نامية علمياً وتقنياً، وهي الدول التي تكافح في سبيل تأسيس قواعد علمية وتقنية، متأسية بذلك بالدول التي سبقتها، ومعتمدة عليها اعتماداً كبيراً، ولكن لا تزال هناك فجوة كبرى بينها وبين دول المجموعة الأولى، والثالثة: دول متخلفة علمياً وتقنياً، وهي التي صادفت عدداً من الصعوبات السياسية والاقتصادية، مما حال دون تمكنها من توفير المؤسسات العلمية والتقنية اللازمة[1]. وتنتمي غالبية دول العالم الإسلامي إلى المجموعة الثالثة، بينما ينتمي عدد قليل منها للمجموعة الثانية، حيث تعاني الدول الإسلامية بعامة تخلف مستوى التقنية وأساليب الإنتاج مما يرجع من جانب كبير منه إلى ضعف برامج التعليم والتدريب، وارتفاع نسبة الأمية، وضآلة جهود البحث العلمي، وتشير بعض البيانات المتاحة إلى أن:

- نسبة الإنفاق على البحوث والتطوير العلمي في الدول النامية إجمالاً بما فيها الدول الإسلامية تبلغ (١,٦%) من مجموع اتفاق دول العالم على هذا المجال، وذلك مقابل (٩٨,٤%) للدول

---

(١) د. راغب النجار - قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي، ص ٦٣-٦٤.

المتقدمة علمياً وتقنياً، منها (٦٦,٢%) للدول الغربية[١].

- نسبة الإنفاق العام على التعليم في الدول النامية بلغ عام (١٩٨٩) حوالي (٣,٦%) من إجمالي الناتج القوي الإجمالي[٢]، بينما بلغت هذه النسبة في الدول الصناعية عام (١٩٨٦) حوالي (٦%)[٣].
- بلغت نسبة الإنفاق على البحث العلمي والتقدم التقني في الدول المتقدمة ما بين (٢-٤%) من إجمالي ناتجها القومي، بينما لا تنفق الدول النامية في المتوسط أكثر من (٠,٣%) فقط[٤].

وقد نتج عن ذلك أثار سلبية عديدة، منها:

- زيادة معدلات الهجرة للعلماء والباحثين المسلمين للدول المتقدمة التي يتوافر فيها المناخ البحثي الملائم[٥].
- استمر تخلف الدول الإسلامية، واستمرار تبعيتها الفكرية وارتباطها العلمي بالدول المتقدمة.
- ارتفاع نسبة الجرائم في الدول النامية، حيث أثبتت العديد من الدراسات أن من أسباب ارتكاب الجرائم، تدني المستويات الثقافية والتعليمية[٦].

وبما أن البحث العلمي بطبيعته مكلف اقتصادياً[٧] وعائده المباشر يأخذ وقتاً طويلاً، فإن الوقف

---

(١) د. راغب النجار - المرجع السابق، ص ٨٣-٨٤.

(٢) الأمم المتحدة - تقرير التنمية البشرية لعام (١٩٩٢)، جدول رقم ١٥، ص ١٥٧.

(٣) الأمم المتحدة - تقرير التنمية البشرية لعام (١٩٩٢)، جدول رقم ٣٤، ص ١٩٣.

(٤) بل إن النسبة تقل عن ذلك في عدد من الدول الإسلامية (باكستان ايران - اندونيسيا) حيث بلغت (٠,٢%) فقط. انظر: د.راغب النجار - قضية التخلف العلمي، ص ٨٤.

(٥) وتبلغ نسبة الكفاءات المهاجرة من العالم الثالث إلى مجموع العقول المهاجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية (٧٠-٨٠%) حسب تقرير الأمم المتحدة للتجارة والتنمية الذي أشار إلى أن (٥٠-٧٠%) من خريجي كليات الطب في الباكستان يهاجرون سنوياً. انظر:
د.راغب النجار - قضية التخلف العلمي، مرجع سابق، ص ١٢٥-١٢٦.

(٦) للزيادة حول ذلك انظر:
عبد الله الباحوث - مشكلة المديونية الخارجية للدول الإسلامية، ص ٧٠-٧٢، ٢٠٥-٢٠٧.

(٧) يحتاج البحث العلمي غالباً لأموال طائلة ولذا لا تستطيع الدول الإسلامية أو غالبها في العصر الحاضر القيام به، ولتصور ذلك، فإن ميزانية المركز الوطني للبحوث العلمية في فرنسا تبلغ (٢,٥) مليار دولار أمريكي سنوياً، وهو مبلغ يفوق موازنات عدد كبير من الدول الإسلامية، ويبلغ عدد العاملين في هذا المركز (٢٦٠٠٠) شخص من بينهم، (١٦٠٠٠) باحث، انظر: =

أنسب آلية لتمويله في العصر الحاضر، وفي ظل الظروف الإسلامية الاقتصادية بعامة، ذلك أن الوقف مصدر دائم ومستقر للتمويل، وهذه الصفة تعد من أولى الأولويات بالنسبة للبحث العلمي، ذلك أن استمرار واستقرار التمويل يحقق أهدافاً عدة لعل من أبرزها: الاستمرار في العمل، وتوفير المناخ الملائم والإمكانات اللازمة للتخطيط المستقبلي. وقد مارس الوقف ذلك الدور تاريخياً، حيث وجد أن معظم المشروعات التي أنشئت بدعم أموال الأوقاف استمرت في أداء رسالتها ودورها دون توقف، ولعل دور التعليم مثال واضح لذلك[1]. ولذا يمكن القول، أن إنشاء مؤسسات وقفية يكون ريعها مخصصاً للبحث العلمي، ولا يتوقف دعمها على الحكومات أو القطاع الخاص، إنما يتبناها المجتمع بكاملة من أوجب الواجبات على المسلمين اليوم[2].

٣-٢- الوقف والمحافظة على البيئة:

يعد التلوث البيئي من أكبر وأخطر المشكلات التي تواجه العالم اليوم، وبالذات العالم النامي، ذلك أن هذه الدول أصبحت مستودعاً لدفن النفايات السامة والنووية وذات الأثر على المدى الطويل، هذا بالإضافة إلى قيام العديد من الشركات العالمية بنقل مصانعها إلى الدول النامية تحت ذرائع اقتصادية متعددة، وهذا بالإضافة إلى التطور الصناعي الذي عم العالم بأجمعه بما فيه الدول النامية، وما ينتج عن ذلك من أثار سلبية عديدة سواء على البيئة أو الإنسان. ويمكن تقسيم التلوث البيئي إلى ثلاث درجات هي:

١- التلوث المعقول أو المقبول: وهي درجة محدودة من درجات التلوث لا يصاحبها عادة مشاكل أو أخطار واضحة على الأحياء على سطح الأرض

٢- التلوث الخطر: وهذه الدرجة تمثل المرحلة التي تتعدى فيها كمية الملوثات خط الأمان، وتؤثر تأثيراً كبيراً على التوازن البيئي، بحيث تؤثر تأثيراً كبيراً ضاراً على الأحياء وغير الأحياء على

= أحمد بن محمد المغربي - الإيمان واهتمام الوقف بالعلم والتعليم، ندوة مكانة الوقف، ص ٦٠-٦١.

(١) د.ناصر سعد الرشيد - تسخير البحث العلمي في خدمة الأوقاف وتطويرها. ندوة مكانة الوقف، ص ٩.

(٢) أحمد المغربي - الإيمان واهتمام الوقف بالعلم، مرجع سابق، ص ٦١. وللاستزادة حول دور الوقف في تنمية البحث العلمي انظر:

د. عبد الله المعيلي - دور الوقف في العملية التعليمية، مرجع سابق.

د. صالح بن سليمان الوهيبي - دور الوقف في دعم المؤسسات والوسائل التعليمية، ندوة مكانة الوقف.

سطح الأرض.

٣- التلوث المدمر: وهو أخطر درجات التلوث بحيث تتعدى الملوثات الحد الخطر لتصل إلى الحد القاتل أو المدمر، وهذه حدثت في عدة حالات، منها: تشير نوبل، باهو بال[١].

وتتنوع مصادر وأسباب التلوث البيئي في العصر الحاضر ولا يمكن بالجهود الفردية أو حتى الرسمية لوحدها بالحد منها أو من أثارها المدمرة، فمن مشاكل التصحر، إلى انفجار الطائرات أو غرق الغواصات، أو تسرب المفاعلات النووية، إلى الأدخنة المتصاعدة من المنشآت الصناعية المختلفة مثل محطات توليد الطاقة الكهربائية ومنشآت الصناعات النفطية والغاز الطبيعي ومصانع الإسمنت، والأسمدة، والدهانات، إلى مدافن النفايات العضوية وغير العضوية، ومحارق النفايات وبخاصة النفايات الطبية، ومحطات معالجة الصرف الصحي، والكسارات والمحاجر، وأعمال الهدم والبناء...، إلى الاحتطاب الجائر والرعي غير المنظم، إلى عوادم السيارات، إلى الإشعاعات بأنواعها، إلى المبيدات والأسمدة بأنواعها.... [٢].

ولهذا كله فإن من المستحيل المحافظة على البيئة والحد من الآثار الضارة للتلوث البيئي بالجهود الفردية أو حتى الرسمية لوحدها، ذلك أن مثل هذه الجهود تحتاج إلى تمويل مالي كبير جداً، والدول النامية بعامة والدول الإسلامية بخاصة في أغلبها لا تستطيع ذلك نظراً لتعاظم مسؤولياتها وانخفاض دخولها، ولذا فإن الوقف يمكن أن يكون له الدور الرئيس في هذا المجال، سواء من خلال دعم نشر الوعي البيئي لدى كافة أفراد المجتمع وبيان الآثار المدمرة للتلوث البيئي، أوبيان واجب كل فرد في

---

(١) د. زين الدين عبد المقصود - البيئة والإنسان علاقات ومشكلات، ص ١٠٢-١٠٤.

(٢) ولذكر أمثلة على هذا:

تواجه أكثر من نصف الأرض الزراعية في العالم خطر التصحر، وقياساً على المعدلات الحالية لتدمير الغابات، فإن نصف غابات العالم البعلية سوف تدمر قبل نهاية القرن الحالي، حيث يتم دمير أكثر من ٢٧ مليون هكتار من الغابات سنوياً.

يتسمم ثلاثة أشخاص كل دقيقة ويموت ١٠٠٠٠ فرد سنوياً بسبب استعمال المبيدات، والمصابون مليون ونصف، ذلك أنه يتم رش حوالي ٢,٥ مليار كيلو غرام من المبيدات حول العالم سنوياً.

يستخدم ٢٠-٣٠% من المبيدات في الولايات المتحدة لملاعب الغولف والحدائق العامة وليس في الزراعة. انظر: فرنسيس مورلاييه، جوزيف كوليتر - الجوع في العالم ١٢خرافة، ص٤٣ - ٥٧، وانظر أيضاً:

التلوث البيئي مصادره ومخاطرة، جريدة الرياض، العدد ١١٨٦٨ الخميس ٢٥ رمضان ١٤٢١هـ، ٢١ ديسمبر ٢٠٠٠، ص ٦ (الرياض ٢).

المحافظة على البيئة من خلال المساهمة والدعم للمؤسسات الوقفية التي تنشأ ويكون هدفها المحافظة على البيئة، ومثل هذا سيؤدي إلى أثر مضاعف في الحفاظ على البيئة، لأن الأفراد والمؤسسات الداعمة سوف تسعى بنفسها للمحافظة على البيئة حتى تقلل من نسبة ما تدفعه من أموال لهذه المشاريع الوقفية.

٣-٣- الوقف والدعوة:

من المجالات الرئيسية التي يمكن أن يساهم فيها الوقف في العصر الحاضر المجالات الدعوية، وقد تم تكرارها هنا مع أنه سبق وأن قام الوقف بهذه المهمة بسبب تجدد الوسائل الدعوية وتزايد أهميتها في التأثير على الناس، ومن أهم هذه المجالات:

٣-٣-١- نشر الدعوة:

يعد نشر الدعوة من أهم التكاليف الشرعية التي يجب على المسلمين جميعاً القيام بها، وقد قام المسلمون بحمد الله بهذا الأمر منذ عهد المصطفى عليه السلام "ولقد حققت مسيرة الدعوة الإسلامية أهدافها الفاضلة في نشر دين الله القويم. ودخول الناس أفواجاً بنصر الله - تعالى - ورعايته الكريمة ثم بجهود الصحابة والسلف الصالح، ومن تبعهم بإحسان من العلماء والدعاة والأئمة حتى حقق الله على أيديهم الفتح المبين وانتشر الإسلام بشكل واسع وفي فترة زمنية قصيرة في كثير من بلاد العالم شرقها وغربها،..، واستمرت مسيرة هذه الدعوة الإيمانية في أداء رسالتها العالمية عبر عصورها الطويلة المتتابعة وقرونها الحضارية حتى أدركها الوهن والتعثر بسبب المؤامرات الخارجية الحاقدة وإثارة الفتن الداخلية، رافقها إتباع أغلب المسلمين لأهوائهم الشهوانية وأطماعهم المادية، وبعدهم تدريجياً عن دينهم الحنيف. وتواجه مسيرة الدعوة الإسلامية في الزمن الحاضر في عصر العولمة بسلبياتها الفكرية المضللة، وانحرافاتها السلوكية الفاسدة، وإثارتها الجنسية الفاحشة من خلال استخدامها للأجهزة الإعلامية المتطورة وتقنياتها الفضائية الحديثة في إثارة الاتهامات والشكوك الباطلة حول دين الله القويم والتعرض لمسيرة الدعوة الإسلامية بالإساءة والإهانة والكراهية في نفوس المسلمين وغير المسلمين"[1].

ومن هنا فإن واجب الدعوة الإسلامية يتزايد في رقاب المسلمين كافة، ولعل من أولى الجهات

---

(١) د.شرف الشريف - أهمية الوقف في دعم المؤسسات الدعوة، ندوة مكانة الوقف، ص ٢٢-٢٣.

للقيام بذلك هي المؤسسات الوقفية ذات الدعم الدائم والمستمر لتدارك الخلل وسد الثغرات وعلاج الانحراف ودرء الأخطار، وتبليغ الناس كافة بهذا الدين القويم.

٣-٣-٢-وسائل الإعلام:

وهذا العنصر مرتبط بسابقة ارتباطاً كبيراً، ولكن لأهميته تم تناوله استقلالاً، ذلك أن "وسائل الإعلام اليوم تمثل هوية الأمة وهي مرآة حضارتها وثقافتها، ولا يخفى مدى اهتمام الناس بما ثبتته هذه الوسائل، وتأثرهم بها. يظهر ذلك في الأوقات الطويلة التي يقضونها أمام شاشات التلفاز لمتابعة البرامج المختلفة،..، وقد زاد اهتمام الناس بمشاهدة التلفاز مع انتشار الأطباق اللاقطة للإرسال التلفازي الفضائي وزيادة عددها،..، ولكن للأسف الشديد فإن واقع الفضائيات العربية اليوم لا يمثل حقيقة الأمة العربية الإسلامية، ويعاني من ضعف شديد في إبراز هوية أمتنا وثقافتها وحضارتها، بل صار للفضائيات العربية أثر سلبي أدى إلى ضياع هوية الأمة،..، مما يدفعنا إلى القول بأن هذه الفضائيات تروج لنمط متهتك من الأخلاق والسلوك، وتسعى إلى إلهاء الشباب عن قضايا الأمة المهمة، واستغلال جسد المرأة في إثارة المشاهد وإغرائه، وبث الصور الفاضحة التي تخدش حياة الأسرة المسلمة"[١].

ومع التأكيد على ضرورة التحصين التربوي في المنزل للمحافظة على الأسرة المسلمة من الغزو الفكري بأنواعه المختلفة، فإن السعي لإيجاد وسائل إعلام إسلامية المنهج والمحتوى بعد ضرورة دعوية في العصر الحاضر، سواء للإسهام في نشر الإسلام والدعوة إليه وتصحيح الصورة السلبية عنه في غالبية وسائل الإعلام، أو للتخفيف من طغيان الإعلام المضاد وإيجاد بدائل شرعية لأفراد المسلمين. ولكن مثل هذا العمل يحتاج إلى إمكانات مالية كبرى، ومن هنا يأتي دور الوقف كمؤسسة مالية إسلامية ذات دخل دائم ومستمر يمكن أن تتولى القيام بتمويل مثل هذه الوسائل. ويمكن أن يمتد أثر الوقف إعلامياً ليتخطى الإرسال التلفازي الفضائي إلى طباعة الكتب ونسخ الأشرطة باللغات المختلفة أيضاً لنشر الإسلام وتصحيح الصور المغلوطة عن الإسلام والمسلمين[٢].

---

(١) د.خالد القاسم – الوقف والإعلام، ندوة مكانة الوقف، ص ١٣-١٥، وانظر أيضاً:
د.محمد الخرعان – دور الوقف في دعم وسائل الإعلام الإسلامية وتمويلها، ندوة مكانة الوقف.
د.حمد العمار – دور الوقف في دعم المؤسسات الدعوية وتمويلها، ندوة مكانة الوقف.

(٢) د.خالد القاسم – الوقف والإعلام، المرجع السابق، ص ١٥.

٣-٣-٣-الإنترنت:

تعد شبكة المعلومات العالمية وسيلة إعلامية ذات أثر فعال وكبير جدا على مستوى العالم في العصر الحاضر، ويتزايد أعداد المستخدمين لهذه الشبكة يوميا، ويتوقع أن اعداد المستخدمين لها حاليا يزيد عن ألف مليون مستخدم من شتى أنحاء العالم، وتتميز هذه الشبكة الإعلامية والمعلوماتية عن غيرها في حرية الطرح دون قيود لكل من يريد، وبالتالي فهي مجال متاح لنشر الإسلام والدعوة إليه والرد على كل الاستفسارات التي قد ترد عنه من شتى أنحاء العالم. وتوفير مراكز المعلومات وقواعد البيانات التي تحفظ تراث الأمة الإسلامية وتتابع المعلومات الجديدة من الإحصاءات والتقارير العلمية والبحوث وتوفير هذه المعلومات بصورة تسهل على العلماء والدعاة بالاستفادة منها في دعوتهم[١].

ولذا فواجب المسلمين اليوم السعي بكل جهد للاستفادة من هذه الآلية واستغلالها في نشر الإسلام والدعوة إليه وزيادة عدد المواقع الإسلامية وتنويعها قدر الإمكان، وبخاصة إذا علمنا أن هناك الآلاف من المواقع التي تسعى إلى الإساءة للإسلام، أو تدعو للإباحية والرذيلة ونشر الفساد، بالإضافة إلى الآلاف من المواقع التي تدعو إلى النصرانية أو اليهودية أو غيرها من الأديان والعقائد الفاسدة. "وينبغي أن لا نستكثر ما يقدم لمثل هذا المجال خاصة حينما نعلم قدر ما يقدمه أعداء الإسلام من أموال طائلة وجهود جبارة للإساءة لسمعة الإسلام والمسلمين"[٢].

٣-٤-الوقف والإغاثة:

نظراً للأوضاع الاقتصادية والسياسية للمسلمين في العصر الحاضر، وتبعاً لكثرة الكوارث والمحن بأنواعها من زلازل، وفيضانات، وأعاصير، وفقر ومجاعات، وحروب وتشريد... الخ، فإن الحاجة ماسة جداً إلى وجود آلية تمويل مستمرة لمثل هذه الاحتياجات، ويعد الوقف من أهم الآليات التي يمكن أن تقوم بمثل هذه المهمة، حيث تتنوع وتتعدد المجالات التي يمكن أن يساهم بها الوقف، ومن ذلك:

١- توفير وإيجاد الأمكنة أو الوسائل التي تساعد على إيواء المتشردين سواء بفعل الزلازل أو الحروب أو الفيضانات... الخ.

---

(١) د.خالد القاسم - الوقف والإعلام، مرجع سابق، ص ٢١.

(٢) د.عبد الكريم الخضر - المجالات الحديثة للوقف، مرجع سبق ذكره، ص ٢٨.

٢- تعويض المتضررين ومساعدتهم على تلافي محنتهم وتقليل آثارها عليهم.

٣- حفر الآبار وشق الترع ورصف الطرق.

٤- الأطعمة والأكسية التي تقدم للمتضررين من هذه الكوارث.

٥- الأطباء والأدوية لمعالجة من هم بحاجة إليها، وبخاصة متضرري الحروب والأوبئة.

٦- وقد يدخل في ذلك أيضاً إمداد المجاهدين بالأموال أو خلافتهم في أهليهم.

٧- وقد يدخل في هذا المجال أيضاً، رعاية الأقليات المسلمة في الدول الغير إسلامية، وتقديم ما يحتاجون إليه[1].

---

(١) د.عبد الكريم الخضر المجالات الحديثة للوقف، ندوة مكانة الوقف، مرجع سابق، ص ٤٢-٤٣